من كرامات الإمام الجواد عليه السّلام

الولاية التكوينية والإخبار بالمغيَّبات

■ أعدّها ونسّقها: خليل أحمد سرور

* لعلّ من المزايا الربّانيّة التي اختزنتها شخصيّة الإمام محمّد الجواد عليه السلام، ما فاضت به من علوم ومعارف إلهيّة لا ينالُها إلا الراسخون في العلم من أهل بيت النبوّة عليهم السلام

في المقالة التالية، ننقل سلسلة مختارة من عيون أخبار الإمام الجواد عليه السلام، تُشير بجملتها إلى معاجزه في الولاية التكوينية والإخبار بالمغيّبات. وتلك جميعاً ممّا مَنّ اللهُ تعالى به على أوليائه وأوصيائه من أئمّة الهدى عليهم السلام.

«شعائر»

قال الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السؤول): «مناقب أبي جعفر محمّد الجواد ما اتَّسعت جِلبابُ مجالها، ولا امتدّت أوقاتُ آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهيّة بقلّة بقائه في الدنيا بحُكْمِها وسجالها، فقلّ في الدنيا مُقامُه، وعُجِّل عليه فيها حِمامُه، فلم تَطُلْ لياليه ولا امتدّت أيّامُه، غيرَ أنّ الله خصّه بمنقبةٍ أنوارُها متألّقةٌ في مطالع التعظيم، وأخبارُها مرتفعة في معارج التفضيل والتكريم». ثم ذكر إخبار الإمام الجواد عليه السلام عما أضمره المأمون في نفسه، ومحاولته اختبار علم الإمام عليه السلام بسؤاله عمّا اصطاده، والقصّة معروفة.

***

* قال الشّيخ محمود الشّيخانيّ القادريّ الشّافعي: «ومن كراماته (أي الإمام الجواد عليه السّلام) أنّه كان تُطوى له الأرض، فيصلّي في يومٍ واحدٍ بمكّة والمدينة والشّام والعراق».

(الصّراط السَّويّ في مناقب آل النبيّ)

***

* «عن محمّد بن الريّان قال: احتال المأمون على أبي جعفر (الجواد) عليه السّلام بكلّ حيلة فلم يمكنه فيه شيء، فلمّا اعتلّ وأراد أن يبني عليه ابنته (أي يزفّ ابنتَه إلى الإمام الجواد عليه السّلام) دَفَع إلى مئتَي وصيفة من أجمل ما يكون.. إلى كلّ واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السّلام إذا قعد في موضع الأخيار، فلم يلتفت عليه السّلام إليهنّ.

وكان رجلٌ يُقال له مُخارِق صاحبَ صوتٍ وعُودٍ وضرب، طويل اللّحية، فدعاه المأمون فقال مخارق له: يا أمير المؤمنين، إنْ كان في شيءٍ من أمر الدنيا فأنا أكفيكَ أمره.

فقعد مخارق بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشهق شهقةً اجتمع عليه أهلُ الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنّي، فلمّا فعل ساعةً وإذا أبو جعفر عليه السّلام لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثمّ رفع عليه السّلام إليه رأسه فقال: **اتّقِ اللهَ يا ذا العُثْنُون!** (والعثنون ما فضل من اللّحية بعد العارضَين، أو شُعَيرات تحت حنك البعير)

قال الراوي: فسقط المضراب مِن يد مخارق والعود، ولم ينتفع بيديه إلى أن مات، فسأله المأمون عن حالهَ، فقال: لمّا صاح بي أبو جعفر فزعتُ فزعةً لا أفيقُ منها أبداً».

(الكافي للكليني)

يكفي بالمرء خيانةً أن يكون أميناً للخونة

* روى جماعة من علماء أهل السُّنّة هذه المنقبة للإمام الجواد سلام الله عليه: «حُكي أنّه لمّا توجّه أبو جعفر الجواد إلى المدينة الشريفة، خرج معه الناس يشيّعونه للوداع.. فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيِّب، فنزل هناك مع غروب الشمس ودخل إلى مسجدٍ قديم مؤسَّسٍ بذلك الموضع ليصلّيَ فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرةُ نَبْقٍ لم تَحمِل قطّ، فدعا عليه السّلام بكُوزٍ فيه ماء، فتوضأ في أصل الشجرة وقام يصلّي، فصلّى مع الناس المغرب، ثمّ تنفّل بأربع ركعات وسجد بعدهنّ للشكر، ثمّ قام فودّع الناسَ وانصرف، فأصبحت النبقةُ وقد حملت من ليلتها حملاً حَسَناً، فرآها الناس وقد تعجّبوا مِن ذلك غاية العَجَب!».

(جامع كرامات الأولياء للنبهاني، روى الحديث هذا ثمّ قال: وكان ما هو أغرب من ذلك، وهو أن نبق هذه الشجرة لم يكن له عُجْم (أي نَوى)، فزاد تعجّبُهم من ذلك! وهذا مِن بعض كراماته الجليلة، ومناقبه الجميلة)

***

* روى ابن الصبّاغ المالكيّ عن أبي خالد، قال: «كنت بالعسكر (وهو محلّة في سامراء)، فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أُتِي به من الشام مُكبَّلاً بالحديد وقالوا: إنّه تنبّأ! فأتيتُ باب السجن ودفعت شيئاً إلى السجّان حتّى دخلتُ عليه، فإذا برجلٍ ذي فَهمٍ وعقل ولُبّ، فقلت له: يا هذا، ما قصّتك؟

قال: إنّي كنتُ رجلاً بالشام أعبُد اللهَ تعالى في الموضع الذي يُقال إنّه نُصِب فيه رأسُ الحسين عليه السّلام.. فبينما أنا ذاتَ يومٍ في موضعي مُقْبِل على المحراب أذكر الله، إذ رأيتُ شخصاً بين يَدَيّ، فنظرت إليه فقال لي: قُم. فقمتُ معه، فمشى قليلاً.. فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ قلت: نعم، هذا مسجد الكوفة. فصلّى فصلّيتُ معه، ثمّ خرج فخرجت معه، فمشى قليلاً.. فإذا نحن بمكّة المشرّفة، فطاف بالبيت فطفتُ معه، ثم خرج فخرجت معه، فمشى قليلاً.. فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه بالشام.. ثمّ غاب عنّي، فبقيتُ متعجّباً ممّا رأيت. فلمّا كان العام المقبل، فإذا بذلك الشخص قد أقبل عليّ، فاستبشرت به فدعاني فأجبتُه، ففعل بي كما فعل بي بالعام الماضي، فلمّا أراد مفارقتي قلتُ له: سألتك بحقّ الذي أقدَرَك على ما رأيتُ منك، إلاّ ما أخبرتَني مَن أنت، فقال: أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

فحدّثت بعضَ مَن كان يجتمع لي بذلك، فرفع ذلك إلى [الوزير العبّاسي] محمّد بن عبد الملك الزّيّات، فبعث إليّ مَن أخذني في موضعي وكبّلني في الحديد، وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى، وادّعى عليّ بالمُحال.

قال أبو خالد: قلتُ له: فأرفعُ عنك قصّةً [أي ورقة فيها شرح حالك] إلى محمّد بن عبد الملك الزّيّات.

قال: افْعَلْ.

قال: فكتبتُ عنه قصّةً وشرحتُ فيها أمره ورفعتُها إلى محمّد بن عبد الملك، فوقّع على ظهرها: قُلْ للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتَها، يُخرِجك من السجن الذي أنت فيه!

فقال أبو خالد: فاغتَمَمتُ لذلك وسُقط في يدي، وقلت: إلى غدٍ آتيه (أي هذا السجين) وآمرُه بالصبر وأعِده من الله بالفَرَج، وأُخبره بمقالة هذا الرجل المتجبّر (أي الزيّات). فلمّا كان من الغد باكرتُ السجن.. فإذا أنا بالحرسِ والجندِ وأصحابِ السجن وناسٍ كثيرين في هَرَج! فسألتُ: ما الخبر؟! فقيل لي: إنّ الرجل المتنبّئ المحمول من الشام فُقِد البارحةَ من السجن، لا ندري كيف خَلَص منها، وطُلِب فلم يُوجد له أثرٌ ولا خبر، ولا يدرون.. أغُمِس في الماء، أم عُرِج به إلى السماء!

فتعجّبتُ من ذلك وقلت: استخفافُ ابن الزيّات بأمره، واستهزاؤه بما وقّع به على قصّته، خلّصه من السجن».

(الفصول المهمّة)

* «حدّث أبو محمّد عبد الله بن محمّد قال: قال لي عمارة بن زيد: رأيت امرأةً قد حملت ابناً لها مكفوفاً إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ (الجواد) عليه السلام، فمسح يدَه عليه فاستوى قائماً يعدو كأنْ لم يكن في عينه ضرر!».

(دلائل الإمامة للطبري الإمامي)

***

* «عن أبي سَلَمة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وكان بي صَمَمٌ شديد، فخُبِّر بذلك لمّا أنْ دخلتُ عليه، فدعاني إليه فمسح يده على أُذُني ورأسي ثمّ قال: **اسْمَعْ وعِهْ**. [قال أبو سلمة] فوَاللهِ إنّي لأسمعُ الشيءَ الخفيّ عن أسماع الناس مِن بعد دعوته».

(مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب)

***

* «عن أبي هاشم الجعفريّ قال: كلّمني جَمّالٌ أن أُكلّمَه (أي أُكلّم الإمامَ الجواد عليه السلام) ليدخله في بعض أموره، فدخلت عليه لأكلّمه فوجدتُه يأكلُ مع جماعة، فلم يُمكِنّي كلامه، فقال: **يا أبا هاشِمٍ، كُلْ**، ووضع بين يَدَيّ.. ثمّ قال ابتداءً منه مِن غير مسألة: **يا غُلامُ، انْظُرِ الجَمّالَ الّذي أَتانا بِهِ أَبو هاشِمٍ فَضُمَّهُ إِلَيْكَ**».

(الإرشاد للشيخ المفيد)

***

* «رُوي عن ابن أُرومة أنّه قال: حَمَلَت إليّ امرأةٌ شيئاً من حُليٍّ وشيئاً من دراهم وشيئاً من ثياب، فتوهّمتُ أنّ ذلك كلّه لها، ولم أسألها إنْ كان لغيرها في ذلك شيء.. فحملتُ ذلك إلى المدينة مع بضاعات لأصحابنا، فوجّهتُ ذلك كلّه إليه (أي إلى الإمام الجواد عليه السّلام) وكتبت في الكتاب أنّي قد بعثت إليك مِن قِبل فلانة كذا ومِن قِبل فلانٍ كذا ومِن فلانٍ وفلانٍ بكذا. فخرج في التوقيع: **قد وصل ما بعثتَ مِن قِبل فلان وفلان ومن قِبَل المرأتين، تقبّل اللهُ منك ورضي عنك، وجَعَلك معنا في الدنيا والآخرة**.

فلمّا رأيت ذِكرَ المرأتينِ شككتُ في الكتاب أنّه غيرُ كتابه، وأنّه قد عُمِل عليّ دونه؛ لأنّي كنتُ في نفسي على يقينٍ أنّ الذي دفعتْ إليّ المرأة كان كلّه لها وهي امرأةٌ واحدة، فلمّا رأيت في التوقيع امرأتين اتّهمت مُوصِلَ كتابي. فلمّا انصرفتُ إلى البلاد جاءتني المرأة فقالت: هل أوصلتَ بضاعتي؟ فقلت: نعم. قالت: وبضاعة فلانة؟ قلت: وكان فيها لغيرِكِ شيء؟! قالت: نعم، كان لي فيها كذا ولأُختي فلانة كذا. قلت: بلى، قد أوصلتُ ذلك. وزال ما كان عندي».

(الخرائج للراوندي)

استجابة دعائه عليه السّلام

* «عن محمّد بن عُمير بن واقد الرازي، قال: دخلتُ على أبي جعفر محمّد الجواد بن الرضا عليهما السلام ومعي أخي به بهَقٌ شديد، فشكا إليه من البَهَق، فقال عليه السّلام: **عافاكَ اللهُ ممّا تَشْكو**. فخرجنا من عنده وقد عُوفي، فما عاد إليه ذلك البهق إلى أن مات.

قال محمّد بن عمير: وكان يصيبني وجعٌ في خاصرتي في كلّ أُسبوع، فيشتدّ ذلك بي أيّاماً.. فسألته أن يدعوَ لي بزواله عنّي، فقال: **وَأَنْتَ عافاكَ اللهُ**. فما عاد إلى هذه الغاية».

(الثاقب في المناقب لابن حمزة)

***

* «عن ابن أُرومة أنّه قال: إنّ المعتصم دعا جماعةً من وزرائه فقال لهم: اشهدوا لي على محمّد بن عليّ بن موسى (أي الجواد عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسّلام) زُوراً، واكتبوا كتاباً أنّه أراد أن يَخرُج علينا!

ثمّ دعاه فقال له: إنّك أردتَ أن تخرج عليّ!

قال عليه السّلام: **واللهِ ما فَعَلْتُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ**.

قال المعتصم: إنّ فلاناً وفلاناً وفلاناً.. شَهِدوا عليك بذلك. وأُحضِروا فقالوا: نعم، وهذه الكتب أخذناها مِن بعض غِلمانك!

وكان أبو جعفر (الجواد) عليه السلام جالساً في بهُوٍ (وهو غرفة متقدّمة من البيت، وهي عادةً غرفة الضيوف)، فرفع يده وقال: **اللَّهُمّ إِنْ كانوا كَذَبُوا عليّ فَخُذْهُمْ**.

قال الراوي: فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يَزحَف ويَذهب ويجيء.. وكلّما قام واحدٌ وقع. فقال المعتصم: يا ابن رسول الله، إنّي تائبٌ ممّا قلتُ فادعُ ربّك أن يُسكِّنَه.

فقال عليه السّلام: **اللَّهُمَّ سَكِّنْهُ، إِنّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَعْداؤُكَ وَأَعْدائي... فَسَكَنَ**».

(الثاقب في المناقب)